BIBLIOTHÈQUE DES ÉCRITS ANCIENS

ÉDITION BILINGUE

Lettre sur les mérites de La Mecque

فضائل مكة والسكن فيها

Épître attribuée à al-Ḥasan al-Baṣrī · Égypte, Inde et Irak

TOME XI

Texte arabe · Traduction française · Notes de lecture

REPÈRES HISTORIQUES

Présentation de l’ouvrage

Datation

La lettre est attribuée à al-Ḥasan al-Baṣrī (642–728). Une version en circulait déjà au IXe siècle. La copie qui sert de base à cette traduction porte la date de 1054 H (1644).

Origine et conservation

L’épître s’adresse à un ascète de La Mecque. L’édition suit le manuscrit 3609 de la bibliothèque Raẓā de Rāmpūr, en Inde, en le confrontant à des copies de Bagdad et d’Alexandrie.

Résumé

Un homme songe à quitter La Mecque pour le Yémen. Pour le convaincre de rester, son correspondant évoque les tours accomplis autour de la Kaʿba, l’eau du puits de Zamzam et les prières dans le sanctuaire. Il rapproche ces gestes de versets coraniques et de traditions sur les mérites qu’ils procurent.

Notice détaillée et sources · p. 44

SOMMAIRE DU VOLUME

Parcours de lecture

Recension intégrale publiée par Sāmī Makkī al-ʿĀnī, de la double transmission initiale à l'adieu et au colophon du manuscrit de Rāmpūr. Elle exhorte un ascète de La Mecque à rester dans le sanctuaire au lieu de partir au Yémen.

Passage	Arabe	Français	Sens
Les deux chaînes de transmission	4	26	40
Mon frère, pourquoi partir ?	6	27	40
La Maison dans le Coran	8	28	40
Une vallée sans culture	9	29	41
La ville des anges et des prophètes	11	30	41
Les prières et les portes du paradis	13	32	41
Aux deux angles de la Kaʿba	15	33	42
Zamzam et la prière à la Station	17	34	42
Faire les tours à pied	19	35	42
Le pèlerinage et l'allégeance	21	37	42
La dernière recommandation	23	38	43
Colophon du manuscrit de base	25	39	43

Notice et sources 44

PREMIÈRE PARTIE

Texte original en arabe

النص العربي

01 · Les deux chaînes de transmission

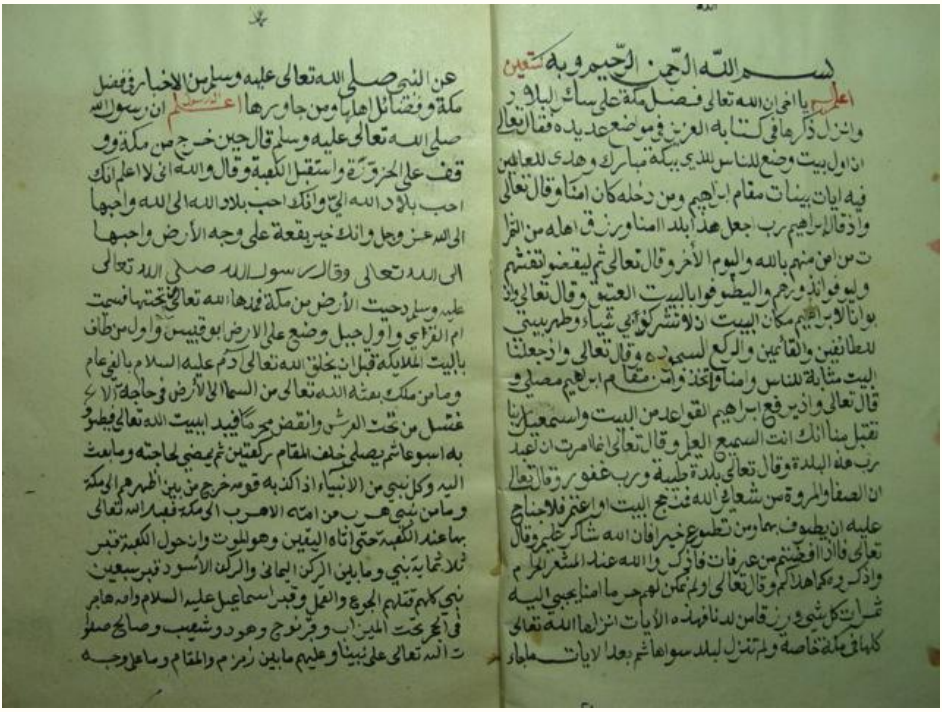
فضائل مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الفقيه الحافظ أبو الفضل جعفر بن الحسن ابن جعفر الهمداني قال أخبرنا الشيخ الامام أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الاصفهاني قراءة عليه في جمادى الأولى سنة احدى وسبعين وخمسماية قال أخبرنا القاضي أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن الحسين الغضائري ب (دربند) قراءة عليه مني في شوال سنة ثلاثين وخمسماية قال كتب إلي أبو منصور محمد بن أحمد بن القاسم الاصفهاني المقرئ من ثغر (آمد) أن أبا الحسن علي بن الحاضر بن علي البغدادي بالفسطاط قال أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الشافعي بمكة قال أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الهمداني قال أخبرنا أبو الحسن محمد ابن نافع قال أخبرنا أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن معروف الصيدلاني قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن صالح

التميمي قال حدثنا أبي قال حدثنا عبد الله بن عبد الحميد أو المجيد الحنفي قال حدثنا عبيدة أو هبيرة الباجي الحدادح

وقال ابن نافع أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن محمد قال أخبرنا محمد المظفر بن احمد المظفر الأشموني الشمار قال حدثنا محمد بن ابراهيم النيسابوري قال حدثنا محمد بن علي الحنفي عن أبي هبيرة الباجي قال كتب الحسن بن أبي الحسن البصري رحمة الله عليه الى رجل من الزهاد يقال له عبد الرحيم أو عبد الرحمن بن أنس الرمادي كان يسكن مكة شرفها الله تعالى وكان له فضل ودين وذكر ولم يكن له في الدنيا عمل الا عبادة الله تعالى وانه أراد الخروج من مكة الى اليمن فبلغ ذلك الحسن وكان يؤاخيه في الله تعالى فكتب إليه كتابا يرغبه في المقام بمكة زادها الله شرفا أوله



Deux pages de la recension plus courte du Caire. Le feuillet montre les preuves coraniques et des récits sur la Kaʿba.
Le Caire, al-Azhar, copie de 1276 H, vue 3.

02 · Mon frère, pourquoi partir ?

بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله يا أخي بما حفظ به أهل الايمان ووقاك المكروه ووفقك للخيرات وأتم عليك النعم في كل الأمور وجمعنا وإياك في دار السلام في جوار الرحمن فان ذلك بيده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

أما بعد يا أخي فاني قد كتبت اليك وأنا ومن قبلي من أهل العناية والأقارب والاخوان على أفضل ما تحب وربنا المحمود وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

اعلم يا أخي أبقاك الله تعالى انه بلغني انك قد أجمعت رأيك على الخروج من حرم الله تعالى وأمنه والتحول منه الى اليمن وأني والله كرهت ذلك وغمني واستوحشت من ذلك وحشة شديدة إذ أراد الشيطان أن يزعجك من حرم الله تعالى ويستزلك

فيا عجبا من عقلك اذ نويت ذلك في نفسك بعد أن جعلك الله من أهله ولو أنك حمدت الله تعالى على ما أولاك وأبلاك في حرمه وأمنه وصيرك من أهله لكان الواجب عليك شكره أبدا ما دمت حيا ولكنت مشغولا بعبادة الله عز وجل أضعاف ما كنت عليه إذ جعلك من أهل حرمه وأمنه وجيران بيته

وإياك ثم إياك والقلق والضجر وعليك بالصبر والصمت والحلم فانك تغلب بهن الشيطان الرجيم وإياك ثم إياك يا أخي والخروج منها والانزعاج عنها فانك في خير أرض وأحب أرض الله تعالى اليه وأفضلها وأعظمها قدرا وأشرفها عنده

فنسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياك للخيرات فانه الحنان المنان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

03 · La Maison dans le Coran

اعلم يا أخي أن الله تعالى فضل مكة على سائر البلاد وأنزل ذكرها في كتابه العزيز في مواضع عديدة فقال تعالى {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا}

وقال تعالى {وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا} {وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر} وقال تعالى {ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق}

وقال تعالى {وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود} وقال تعالى {وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى}

وقال تعالى {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم}

وقال تعالى {إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها}

وقال تعالى {بلدة طيبة ورب غفور}

وقال تعالى {إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم} وقال تعالى {فإذا أفضتم من عرفات} فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم

وقال تعالى {أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا}

(وقال تبارك وتعالى {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام}

وقال تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق}

04 · Une vallée sans culture

وقال تعالى {فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف}

وقال تعالى {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون}

وقال تعالى {قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره}

وقال تعالى {فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا}

وقال تعالى {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}

وقال تعالى {وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان}

وقال تعالى {الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج}

وقال تعالى {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله}

فهذه الآيات يا أخي أنزلها الله تعالى كلها في مكة خاصة ولم ينزلها لبلد سواها

05 · La ville des anges et des prophètes

ثم أفيدك يا أخي بعد هذا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأخبار في فضائل مكة وفضائل أهلها ومن جاورها

اعلم يا أخي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين خرج من مكة وقف على الحزورة واستقبل الكعبة وقال والله إني لأعلم أنك أحب بلد الله إلي وأنك أحب أرض الله الى الله عز وجل وانك خير بقعة على وجه الأرض وأحبها الى الله تعالى ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر خير بلدة على وجه الأرض وأحبها الى الله تعالى مكة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دحيت الأرض من مكة فمدها الله تعالى من تحتها فسميت أم القرى

وأول جبل وضع في الأرض أبو قبيس وأول من طاف بالبيت الملائكة قبل أن يخلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام بألفي عام وما من ملك يبعثه الله تعالى من السماء الى الأرض في حاجة الا اغتسل من تحت العرش وانقض محرما فيبدأ ببيت الله تعالى فيطوف به اسبوعا ثم يصلي خلف المقام ركعتين ثم يمضي لحاجته وما بعث اليه

وكل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة وما من نبي هرب من أمته الا هرب الى مكة فعبد الله تعالى بها عند الكعبة حتى أتاه اليقين وهو الموت وان حول الكعبة قبر ثلثمائة نبي وما بين الركن اليماني والركن الاسود قبر سبعين نبيا كلهم قتلهم الجوع والقمل وقبر اسماعيل وأمه هاجر صلى الله عليهما وسلم في الحجر تحت الميزاب وقبر نوح وهود وشعيب وصالح صلى الله على نبينا وعليهم وسلم فيما بين زمزم والمقام

وما على وجه الأرض بلدة وفد إليها جميع النبيين والملائكة والمرسلين أجمعين وصلاح عباد الله من أهل السماوات والأرض والجن إلا مكة

وما على وجه الأرض بلدة يرفع الله فيها الحسنة الواحدة غاية ألف حسنة إلا مكة ومن صلى فيها صلاة رفعت له مائة ألف صلاة ومن صام فيها كتب له صوم مائة ألف يوم ومن تصدق فيها بدرهم كتب الله له مائة ألف درهم صدقة ومن ختم فيها القرآن مرة واحدة كتب الله تعالى له مائة ألف ختمة بغيرها. ومن سبح الله تعالى فيها مرة كتب الله له مائة ألف مرة بغيرها. وكل حسنة فعلها العبد في الحرم بمائة ألف حسنة بغيرها، وكل أعمال البر فيها كل واحدة بمائة ألف

وما أعلم بلدة يحشر الله تعالى فيها يوم القيامة من الأنبياء والأصفياء والأتقياء والأبرار والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء والفقهاء والفقراء والحكماء والزهاد والعباد والنساك والأخيار والأحبار من الرجال والنساء ما يحشر الله تعالى من مكة وإنهم يحشرون وهم آمنون من عذاب الله تعالى

وليوم واحد في حرم الله تعالى وأمنه أرجى لك وأفضل من صيام الدهر كله وقيامه في غيرها من البلدان

06 · Les prières et les portes du paradis

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى

ولم يذكر شيئا من المساجد غيرها

وقال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه بمائة الف صلاة في غيره وصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة

وما على وجه الأرض بقعة ينزلها كل يوم من عند الله تعالى عشرون ومائة رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين الى الكعبة إلا مكة

والنظر الى الكعبة عبادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نظر الى بيت الله إيمانا واحتسابا وتصديقا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين

ويحشر الله تعالى أهلها يوم القيامة آمنين

وما على وجه الأرض بلدة أبواب الجنة كلها مفتوحة اليها الا مكة وان أبواب الجنة لثمانية أبواب كلها منفتحة اليها بمكة الى يوم القيامة فباب منها للكعبة وباب منها تحت الميزاب وباب منها عند الركن اليماني وباب منها عند الركن الاسود وباب منها خلف المقام وباب منها عند زمزم وباب منها على الصفا وباب منها على المروة ولا يدخل الكعبة أحد إلا برحمة الله ولا يخرج منها إلا بمغفرة الله عز وجل قال تعالى {ومن دخله كان آمنا} أي من النار وما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعا إلا مكة أولها جوف الكعبة الدعاء فيها مستجاب والدعاء عند الحجر الأسود مستجاب والدعاء عند الركن اليماني مستجاب والدعاء عند الحجر مستجاب والدعاء

خلف المقام مستجاب والدعاء في الملتزم مستجاب والدعاء عند باب بئر زمزم مستجاب والدعاء على الصفا والمروة مستجاب والدعاء بين الصفا والمروة مستجاب والدعاء بين الركن والمقام مستجاب والدعاء بمنى مستجاب والدعاء بجمع مستجاب والدعاء بعرفات مستجاب والدعاء في المشعر الحرام مستجاب

فهذه يا أخي خمسة عشر موضعا فاغتنم الدعاء فيها فانها المواضع التي لا يرد فيها الدعاء وهي المشاهد العظام التي ترجى فيها المغفرة فاجتهد يا أخي في الدعاء عند هذه المشاهد العظام

وأنك إن خرجت من حرم الله تعالى وأمنه ذهبت عنك بركة هذه المشاهد

07 · Aux deux angles de la Kaʿba

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله تعالى ما بين الركن والمقام

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الركن اليماني والأسود روضة من رياض الجنة

وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدعو عند الركن الأسود إلا استجيب له وكذلك عند الركن اليماني

واعلم يا أخي أنه لا يخرج منها أحد إلا ندم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة

فأثبت مكانك وإياك والقلق والضجر فإن ذلك من فعل الشيطان فلا تبرح وإنك إن تكسب مكسبا يساوي فلسين من حلال بها كان أفضل وخيرا من أن تكسب في غيرها ألفي درهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات حاجا أو معتمرا لم يعرض ولم يحاسب، وقيل له ادخل الجنة بسلام مع الآمنين.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من صام شهر رمضان بمكة كتب الله تعالى له مائة ألف شهر في غيرها من البلدان، وصلاة بالمسجد الحرام بمائة ألف صلاة، فإن صلاها في جماعة فهي بألف ألف صلاة، ومن مرض بمكة يوما واحدا حرم الله سبحانه وتعالى جسده ولحمه على النار.

قال - صلى الله عليه وسلم -: من مرض بمكة يوما كتب الله له من العمل الصالح الذي كان يعمل في غيرها عبادة ستين سنة. ومن صبر على حر مكة ساعة من نهار أبعده الله تعالى من النار مسيرة خمسمائة عام، وقربه من الجنة مسيرة مائتي عام، وإن

مكة والمدينة لينفيان خبثهما كما ينفي الكير خبث الحديد، ألا وأن مكة أنشئت على المكروهات والدرجات، ومن صبر على شدتها كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة، ومن مات بمكة أو بالمدينة بعثه الله يوم القيامة آمنا من عذابه، لا حساب عليه، ولا خوف ولا عذاب، ويدخل الجنة بسلام، وكنت له شفيعا يوم القيامة.

08 · Zamzam et la prière à la Station

ألا إن أهل مكة هم أهل الله تعالى وجيران بيته، وما على وجه الأرض بلدة فيها شراب الأبرار، ومصلى الأخيار إلا بمكة.

قيل لابن عباس رضي الله عنهما ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب. فقيل له: ما شرب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

وخير واد على وجه الأرض وادي إبراهيم - صلى الله عليه وسلم وخير بئر على وجه الأرض بئر زمزم.

وما بلدة يوجد فيها شيء إذا مسه الإنسان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه إلا بمكة، فإن من مس الحجر الأسود خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وما على وجه الأرض بلدة فيها موضع أمر فيه بالصلاة إلا بمكة. وما على وجه الأرض بلدة يصلي فيها أحد حيث أمر الله نبيه إلا بمكة فإنه قال الله تعالى: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

ومن صلى خلف المقام كان آمنا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن صلى تحت الميزاب ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ومن صلى حول الكعبة ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وأحب البقاع إلى الله تعالى ما بين المقام والملتزم. والنظر إلى الكعبة عبادة وأمان من النفاق.

وما على وجه الأرض بقعة يوجد فيها الطواف والحج والعمرة إلا بمكة، والنظر في بئر زمزم عبادة، والطائف حول البيت كالطائف حول عرش الرحمن، والحجر الأسود يد الله تعالى في أرضه يصافح فيها من يشاء من عباده، والحجر الأسود والمقام يأتيان يوم القيامة كل واحد منهما مثل جبل أبي قبيس، لهما عينان ولسانان وشفتان يشهدان لكل من وافاهما بالوفاء.

روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: إن أكرم الملائكة عند الله تعالى الذين يطوفون حول بيته. ومن نظر إلى البيت نظرة وكان عليه خطايا مثل زبد البحر غفرها الله له كلها.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن لله عز وجل لوحا من ياقوتة حمراء ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، مائة وثمانون نظرة رحمة، ومائة وثمانون نظرة عذاب. وإن أول من ينظر الله تعالى إليه بالرحمة لأهل حرمه، فمن رآه قائما يصلي غفر له، ومن رآه طائفا غفر له، ومن رآه جالسا مستقبلا القبلة غفر له. فتقول الملائكة وهو أعلم بذلك ربنا لم يبق إلا النائمون. فيقول تبارك وتعالى -: والنائمون حول بيتي ألحقوهم.

09 · Faire les tours à pied

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من طاف حول البيت أسبوعا رفع الله له بكل قدم سبعين ألف درجة، وأعطاه سبعين ألف حسنة، وأعطاه سبعين ألف شفاعة فيمن شاء من أهل بيته من المسلمين، إن شاء عجلت له في الدنيا، وإن شاء ادخرت له في الآخرة.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من طاف حول بيت الله سبعا في يوم صائف شديد الحر، حاسرا عن رأسه، واستلم الحجر في كل طوفة من غير أن يؤذي أحدا، وقل كلامه إلا من ذكر الله تعالى كان له بكل قدم يرفعها أو يضعها سبعون ألف حسنة، ومحي عنه سبعون ألف سئية، ورفع له سبعون ألف درجة.

وفضل الحاج الماشي على الحاج الراكب كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

وقال - صلى الله عليه وسلم -: لو أن الملائكة صافحت أحدا لصافحت الغازي في سبيل الله، والبار بوالديه، والطائف ببيت الله ".

وقال - صلى الله عليه وسلم -: الكعبة محفوفة بسبعين ألفا من الملائكة يستغفرون لمن طاف، ويصلون عليه.

وقال - صلى الله عليه وسلم -: الطائف يخوض في رحمة الله، وإن الله ليباهي بالطائفين حول البيت الملائكة.

وقال - صلى الله عليه وسلم - استكثروا من هذا الطواف قبل أن يحال بينكم وبينه، فكأني أنظر إلى رجل من الحبشة أصليع أفيدع، أصفح أفيحج، جالس عليها يهدمها حجرا حجرا.

وقال - صلى الله عليه وسلم - الحجاج والعمار وفد الله تعالى، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن أنفقوا أخلف عليهم بكل درهم سبعمائة ألف درهم وفي رواية ألف ألف درهم وسبعمائة ألف درهم والذي نفسه بيده، ما أهل مهل ولا كبر مكبر إلا أهل بتهليله، وكبر بتكبيره كل شيء حتى منقطع التراب [فقال رجل] : يا رسول الله وإلى هذه المضاعفة؟ فقال: والذي نفسي بيده، أما إنفاقهم ليخلفن الله عليهم السبعمائة ألف دار الدنيا قبل أن يخرجوا منها، وأما الألف ألف، فهي مدخرة لهم في الآخرة، والذي نفسي بيده إن الدرهم الواحد لأثقل من جبلكم هذا وأشار إلى أبي قبيس.

10 · Le pèlerinage et l’allégeance

وقال - صلى الله عليه وسلم - من استطاع أن يموت في أحد الحرمين فليمت، فإني أول من أشفع له، وكان يوم القيامة آمنا من عذاب الله تعالى، ولا حساب عليه ولا عذاب.

وقال - صلى الله عليه وسلم -: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عمرة في رمضان تعدل حجة، وفي رواية: معي.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من حج ولم يرفث، ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وما من رجل أوصى بحجة إلا كتب له ثلاث حجج، حجة للذي كتبها، وحجة للذي أوصى بها، وحجة للذي أحرم بها عنه. ومن حج عن والديه كتب له حجتان، حجة له وحجة لوالديه، ومن حج عن ميت حجة من غير أن يوصي بها، كتبت له حجة وكتبت للذي حج عنه سبعون حجة.

وإنه إذا كان عشية عرفة هبط الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا فينظر إلى عباده فيباهي بهم الملائكة. يقول جل جلاله -: يا ملائكتي أما ترون إلى عبادي قد أقبلوا من كل فج عميق، شعثا غبرا، يرجون رحمتي، أشهدكم يا ملائكتي أني وهبت مسيئهم لمحسنهم، وشفعت بعضهم في بعض، وغفرت لهم أجمعين، أفيضوا عبادي كلكم مغفورا لكم ما مضى من ذنوبكم، صغيرها وكبيرها، قديمها وحديثها.

وحجة مقبولة خير من الدنيا، وما فيها، ويقال للذي لا تقبل منه يخرج من ذنوبه، والذي يقبل الله منه، فقد فاز فوزا عظيما.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: أنه قال: من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يدركني ولم يبايعني

ثم جاء إلى المدينة بعد وفاتي، وسلم علي وزارني عند قبري فقد بايعني. ومن أتى الركن الأسود فقبله فكأنما بايع الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم

قال - صلى الله عليه وسلم -: أن الركن يمين الله في الأرض، يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه، ومن لم يدرك بيعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستلم الحجر فقد بايع الله تعالى، ورسوله - صلى الله عليه وسلم.

11 · La dernière recommandation

وقال - صلى الله عليه وسلم -: أنه لم يبق شيء من الجنة غير هذا الحجر الأسود، ولولا ما مسه من أنجاس المشركين وأرجاسهم ما مسه ذو عاهة يستشفي به إلا برأ.

ومن مات بالحرم فكأنما مات في السماء الرابعة، ومن مات في بيت المقدس فكأنما مات في سماء الدنيا، ومن حج بيت الله تعالى ماشيا كتب الله له بكل قدم يرفعه ويضعه سبعين ألف حسنة من حسنات الحرم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما -: حسنة الحرم بمائة ألف حسنة.

وقال - صلى الله عليه وسلم -: أن للحاج الراكب لكل خطوة يخطوها بعيره حسنة من حسنات الحرم. قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم؟ قال: كل حسنة بمائة ألف حسنة.

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: يحشر الله تعالى من مقبرة مكة سبعين ألف شهيد يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة بدر، ويشفع كل واحد منهم في سبعين ألف رجل. فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الغرباء.

ومن مات في حرم الله تعالى أو حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم أو مات بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيامة من الآمنين. ألا وإن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق.

ومن صلى في الحجر ركعتين ناحية الركن الشامي فكأنه أحيى سبعين ألف ليلة، وكان كعبادة كل مؤمن ومؤمنة، وكأنما حج أربعين حجة مبرورة متقبلة، ومن صلى مقابل باب الكعبة أربع ركعات فكأنما عبد الله تعالى كعبادة جميع خلقه أضعافا مضاعفة، وآمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الأكبر، وأمر الله عز وجل جبريل وميكائيل وجميع الملائكة عليهم السلام أن يستغفروا له إلى يوم القيامة.

فاغتنم يا أخي هذا الخير كله، وإياك أن يفوتك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

12 · Colophon du manuscrit de base

تمت الرسالة بحمد الله تعالى وحسن توفيقه، ووافق الفراغ منها ليلة الاثنين تاسع عشر شوال من شهور سنة أربع وخمسين وألف، والحمد لله وحده وصلى على من لا نبي بعده.

DEUXIÈME PARTIE

Traduction française
الترجمة الفرنسية

01 · Les deux chaînes de transmission

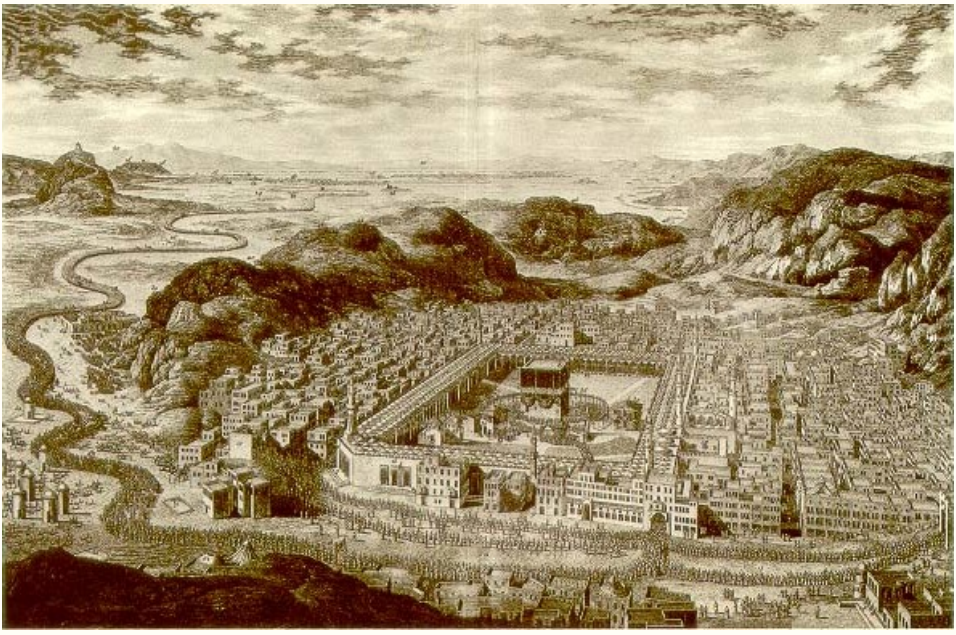
Les mérites de La Mecque.

Au nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux.

Le maître, juriste et savant des traditions Abū al-Faḍl Jaʿfar ibn al-Ḥasan ibn Jaʿfar al-Hamadhānī nous a transmis ce qui suit. Il le tenait du maître et imam Abū Ṭāhir Aḥmad ibn Muḥammad al-Silafī al-Iṣfahānī, lors d'une lecture devant celui-ci en jumādā I de l'an 571. Ce dernier dit : « Le juge Abū Isḥāq Ibrāhīm ibn Muḥammad ibn al-Ḥusayn al-Ghaḍā'irī me le transmit à Darband, lors d'une lecture que je fis devant lui en shawwāl de l'an 530. » Le juge dit : « Abū Manṣūr Muḥammad ibn Aḥmad ibn al-Qāsim al-Iṣfahānī, le maître de lecture, m'écrivit de la ville frontière d'Āmid qu'Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn al-Ḥāḍir ibn ʿAlī al-Baghdādī, à Fusṭāṭ, rapportait le texte d'Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn ʿAbd al-Raḥmān al-Shāfiʿī à La Mecque. » Celui-ci le tenait d'Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn ʿAbd Allāh al-Hamadhānī, d'après Abū al-Ḥasan Muḥammad ibn Nāfiʿ, Abū al-Ḥasan Muḥammad ibn Ibrāhīm ibn Maʿrūf al-Ṣaydalānī, ʿAbd Allāh ibn Aḥmad ibn Ṣāliḥ al-Tamīmī, son père, ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Ḥamīd — ou ʿAbd al-Majīd — al-Ḥanafī, et ʿUbayda — ou Hubayra — al-Bājī, le forgeron. Ici, le texte passe à l'autre chaîne.

Ibn Nāfiʿ dit aussi : « Abū al-Qāsim ʿUbayd Allāh ibn Muḥammad ibn Muḥammad nous l'a transmis, d'après Muḥammad al-Muẓaffar ibn Aḥmad al-Muẓaffar al-Ushmūnī al-Shammār, Muḥammad ibn Ibrāhīm al-Naysābūrī, Muḥammad ibn ʿAlī al-Ḥanafī et Abū Hubayra al-Bājī. » Ce dernier raconte qu'al-Ḥasan ibn Abī al-Ḥasan al-Baṣrī, que Dieu lui fasse miséricorde, écrivit à un ascète nommé ʿAbd al-Raḥīm — ou ʿAbd al-Raḥmān — ibn Anas al-Ramādī. Il habitait La Mecque, que Dieu l'honore. C'était un homme distingué par son mérite, sa religion et sa réputation. Il n'avait d'autre occupation en ce

monde que l'adoration de Dieu. Ayant appris qu'il projetait de quitter La Mecque pour le Yémen, al-Ḥasan, qui le tenait pour son frère en Dieu, lui écrivit pour l'encourager à demeurer à La Mecque, que Dieu accroisse son honneur. La lettre commence ainsi.



La cour du sanctuaire, la Kaʿba au centre. Gravure du XVIII^e siècle.
I. M. d'Ohsson, Tableau général de l'Empire othoman, planche XLV.

02 · Mon frère, pourquoi partir ?

Au nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux. Mon frère, que Dieu te garde comme il a gardé les gens de foi, qu'il t'épargne le mal, te dispose aux bonnes œuvres et comble en toute chose ses bienfaits envers toi. Qu'il nous réunisse dans la demeure de paix, au voisinage du Miséricordieux. Cela est en sa main. Il n'est de force ni de puissance qu'en Dieu, le Très-Haut, l'Immense.

Mon frère, je t'écris alors que moi et ceux qui m'entourent, ceux qui me sont chers, ma famille et mes frères, nous nous portons aussi bien que tu pourrais le souhaiter. À notre Seigneur revient la louange. Que Dieu bénisse notre maître Muḥammad, les siens et ses compagnons et leur accorde la paix.

Sache, mon frère, que Dieu te garde en vie, qu'on m'a dit ta résolution de quitter le sanctuaire de Dieu et la sécurité que tu y trouves pour t'établir au Yémen. Par Dieu, cette nouvelle m'a déplu. J'en ai eu du chagrin et j'en ai ressenti une profonde désolation. Le diable a voulu t'arracher au sanctuaire de Dieu et te faire glisser.

Comment as-tu pu concevoir pareille intention, alors que Dieu a fait de toi l'un de ses habitants ? Si tu louais Dieu pour les dons qu'il t'a accordés, pour ce qu'il t'a donné d'éprouver dans son sanctuaire et son asile, pour avoir fait de toi l'un des siens, tu lui devrais reconnaissance aussi longtemps que tu vivras. Tu consacrerais à son adoration bien davantage que tu ne faisais déjà, puisqu'il t'a placé parmi les habitants du sanctuaire, dans sa sécurité, parmi les voisins de sa Maison.

Garde-toi, garde-toi de l'inquiétude et de la lassitude. Attache-toi à la patience, au silence et à la douceur. Par eux, tu l'emporteras sur le diable banni. Mon frère, garde-toi encore et encore de partir, de te laisser arracher à cette ville. Tu te trouves sur la meilleure des terres, celle que Dieu aime le plus, la plus excellente, la plus précieuse et la plus honorée à ses yeux.

Nous demandons à Dieu de te guider, toi comme nous, vers le bien. Il est le Compatissant, le Dispensateur. Il n'est de force ni de puissance qu'en Dieu, le Très-Haut, l'Immense.

03 · La Maison dans le Coran

Mon frère, sache que Dieu a donné à La Mecque la prééminence sur les autres villes et l'a mentionnée en plusieurs endroits de son Livre vénérable. Il dit : « La première Maison établie pour les hommes est celle de Bakka, bénie et guide pour les mondes. En elle se trouvent des signes manifestes, la station d'Abraham. Quiconque y entre est en sécurité. »

Il dit aussi : « Lorsqu'Abraham dit : Seigneur, fais de ce lieu une cité sûre, et accorde de ses fruits à ceux de ses habitants qui croient en Dieu et au Jour dernier. » Et : « Qu'ils mettent ensuite fin à leurs interdits, qu'ils s'acquittent de leurs vœux et fassent les tours de la Maison antique. »

Il dit : « Lorsque nous assignâmes à Abraham l'emplacement de la Maison : Ne m'associe rien et purifie ma Maison pour ceux qui en font le tour, s'y tiennent debout, s'inclinent et se prosternent. » Et : « Lorsque nous fîmes de la Maison un lieu de retour et un asile pour les hommes. Prenez la station d'Abraham comme lieu de prière. »

Il dit : « Lorsque Abraham et Ismaël élevèrent les fondations de la Maison : Notre Seigneur, accepte cela de nous. Tu es celui qui entend et qui sait. »

Il dit : « Il m'a seulement été ordonné d'adorer le Seigneur de cette cité, qui l'a rendue sacrée. »

Il dit : « Une bonne cité et un Seigneur qui pardonne. »

Il dit : « Ṣafā et Marwa comptent parmi les rites de Dieu. Celui qui se rend en grand ou petit pèlerinage à la Maison n'encourt aucun blâme en allant de l'un à l'autre. Quiconque fait volontairement du bien, Dieu est reconnaissant et savant. » Et : « Lorsque vous déferlerez de ʿArafāt, rappelez-vous Dieu près du lieu sacré, et souvenez-vous de lui comme il vous a guidés. »

Il dit : « Ne leur avons-nous pas assuré un sanctuaire sûr, où sont apportés les fruits de toute chose, subsistance venue de nous ? »

Il dit, béni et exalté soit-il : « Dieu a fait de la Kaʿba, la Maison sacrée, un soutien pour les hommes, ainsi que du mois sacré. »

Il dit à son prophète Abraham, sur lui la paix : « Proclame le pèlerinage parmi les hommes. Ils viendront à toi à pied ou sur toute monture amaigrie, arrivant de chaque défilé lointain. »

04 · Une vallée sans culture

Il dit : « Qu'ils adorent le Seigneur de cette Maison, qui les a nourris contre la faim et rassurés contre la peur. »

Il dit : « Notre Seigneur, j'ai établi une partie des miens dans une vallée sans culture près de ta Maison sacrée, notre Seigneur, pour qu'ils accomplissent la prière. Incline vers eux le cœur de quelques hommes et accorde-leur des fruits, peut-être seront-ils reconnaissants. »

Il dit : « Nous te voyons tourner ton visage vers le ciel. Nous allons t'orienter vers une direction de prière qui t'agrée. Tourne donc ton visage vers la Mosquée sacrée. Où que vous soyez, tournez vos visages de son côté. »

Il dit : « Lorsque vous aurez accompli vos rites, souvenez-vous de Dieu comme vous vous souvenez de vos pères, ou d'un souvenir plus ardent. »

Il dit : « Gloire à celui qui emmena de nuit son serviteur de la Mosquée sacrée à la Mosquée la plus lointaine, dont nous avons béni les alentours. »

Il dit : « Dieu propose en exemple une cité sûre, tranquille, qui recevait en abondance sa subsistance de tous côtés. »

Il dit : « Le pèlerinage a lieu en des mois déterminés. Celui qui s'y engage pendant ces mois doit s'abstenir de relations sexuelles, de désobéissance et de disputes pendant le pèlerinage. »

Il dit : « Auriez-vous mis le service de l'eau aux pèlerins et l'entretien de la Mosquée sacrée sur le même plan que celui qui croit en Dieu et au Jour dernier et lutte sur le chemin de Dieu ? »

Mon frère, Dieu a révélé tous ces versets spécialement au sujet de La Mecque, et il ne les a révélés au sujet d'aucune autre ville.

05 · La ville des anges et des prophètes

Je vais maintenant te faire connaître, mon frère, ce que rapportent les traditions du Prophète, que Dieu le bénisse et lui accorde la paix, sur les mérites de La Mecque, de ses habitants et de ceux qui viennent séjourner auprès d'eux.

Sache, mon frère, que l'Envoyé, lorsqu'il quitta La Mecque, s'arrêta à al-Ḥazwara, se tourna vers la Kaʿba et dit : « Par Dieu, je sais que tu es, des cités de Dieu, celle que j'aime le plus. De toutes ses terres, tu es celle que Dieu, puissant et majestueux, aime le plus. Tu es le meilleur endroit à la surface de la terre et le plus cher à Dieu. Si tes habitants ne m'avaient chassé de toi, je ne serais pas parti. »

Dans un autre récit, il dit : « La meilleure ville à la surface de la terre, et la plus chère à Dieu, est La Mecque. »

L'Envoyé dit : « C'est à partir de La Mecque que la terre a été étendue. Dieu l'a déployée depuis le sol qui est au-dessous d'elle. De là son nom de Mère des cités. »

La première montagne posée sur la terre fut Abū Qubays. Les premiers à faire le tour de la Maison furent les anges, deux mille ans avant que Dieu ne crée Adam, sur lui la paix. Aucun ange envoyé du ciel en mission sur terre ne manque de se laver sous le Trône et de descendre en état de consécration. Il se rend d'abord à la Maison de Dieu, en fait sept fois le tour et prie deux unités derrière la Station. Alors seulement il s'en va remplir le besoin pour lequel on l'a envoyé.

Tout prophète que son peuple traitait de menteur quittait les siens pour La Mecque. Aucun prophète n'a fui sa communauté sans y chercher refuge. Il y adorait Dieu auprès de la Kaʿba jusqu'à la venue de la certitude, c'est-à-dire la mort. Autour de la Kaʿba se trouvent les tombes de trois cents prophètes. Entre l'angle yéménite et l'angle de la Pierre noire sont les tombes de soixante-dix prophètes, tous emportés par la faim et les poux. Ismaël et sa mère Hagar, sur eux la paix, reposent dans l'enceinte du Ḥijr, sous la gouttière. Noé, Hūd, Shuʿayb et Ṣāliḥ, que Dieu accorde sa bénédiction et sa paix à notre Prophète et à eux, reposent entre Zamzam et la Station.

Il n'y a, à la surface de la terre, que La Mecque où soient venus en délégation tous les prophètes, les anges, tous les envoyés, et les justes parmi les serviteurs de Dieu, des cieux et de la terre et d'entre les djinns.

Il n'y a que La Mecque où Dieu élève une seule bonne action jusqu'à mille bonnes actions. Celui qui y fait une prière se voit créditer cent mille prières, celui qui jeûne un jour, le jeûne de cent mille jours. À qui donne un dirham, Dieu inscrit l'aumône de cent mille dirhams. À qui y achève une lecture du Coran, il inscrit cent mille lectures achevées ailleurs. À qui y prononce une seule fois la glorification de Dieu, il en inscrit cent mille prononcées ailleurs. Chaque bonne action du serviteur dans le sanctuaire vaut cent mille bonnes actions ailleurs. Chacune des œuvres de bien y compte pour cent mille.

Je ne connais aucune ville dont Dieu rassemble au jour de la Résurrection autant de prophètes, d'élus, d'hommes craignant Dieu, de justes, de véridiques, de

martyrs, de gens de bien, de savants, de juristes, de pauvres, de sages, d'ascètes, de dévots, d'adorateurs, de vertueux et de docteurs, hommes et femmes, qu'il en rassemble de La Mecque. Il les rassemblera à l'abri de son châtiment.

Un seul jour passé dans le sanctuaire de Dieu et sa sécurité peut t'inspirer plus d'espoir et vaut mieux pour toi que de jeûner toute ta vie et d'en passer les nuits en prière ailleurs.

06 · Les prières et les portes du paradis

On rapporte du Prophète cette parole : « On ne sangle les montures que pour trois mosquées : ma mosquée que voici, la Mosquée sacrée et la Mosquée la plus lointaine. »

Il n'a mentionné aucune autre mosquée.

Il dit : « Une prière dans ma mosquée vaut mille prières ailleurs, sauf dans la Mosquée sacrée, car une prière dans celle-ci vaut cent mille prières ailleurs. Une prière dans la Mosquée la plus lointaine en vaut cinq cents. »

À la surface de la terre, il n'y a que La Mecque où descendent chaque jour cent vingt miséricordes de la part de Dieu. Soixante sont pour ceux qui font les tours, quarante pour ceux qui prient, vingt pour ceux qui regardent la Kaʿba.

Regarder la Kaʿba est un acte d'adoration. L'Envoyé a dit : « À qui regarde la Maison de Dieu avec foi, dans l'espoir de la récompense et en la tenant pour vraie, seront pardonnés ses péchés, passés et à venir. Au jour de la Résurrection, il sera rassemblé parmi ceux qui sont en sécurité. »

Dieu rassemblera les habitants de la ville en sécurité au jour de la Résurrection.

La Mecque est la seule ville sur terre vers laquelle toutes les portes du paradis soient ouvertes. Ces huit portes le resteront jusqu'au jour de la Résurrection. L'une donne sur la Kaʿba, une autre sous la gouttière, une autre près de l'angle yéménite, une autre près de l'angle de la Pierre noire, une autre derrière la Station, une autre près de Zamzam, une autre sur Ṣafā et une autre sur Marwa. Personne n'entre dans la Kaʿba sinon par la miséricorde de Dieu, ni n'en sort sans

son pardon. Dieu dit : « Quiconque y entre est en sécurité », c'est-à-dire à l'abri du Feu. La Mecque est aussi la seule ville comptant quinze endroits où la prière de demande est exaucée. D'abord à l'intérieur de la Kaʿba. Elle est exaucée auprès de la Pierre noire, à l'angle yéménite, au Ḥijr, derrière la Station, au Multazam, à l'entrée du puits de Zamzam, sur Ṣafā et sur Marwa, entre Ṣafā et Marwa, entre l'angle et la Station, à Minā, à Jamʿ, à ʿArafāt et au lieu sacré du rite.

Voici donc, mon frère, quinze lieux. Saisis l'occasion de prier en ces endroits, car on n'y repousse pas les demandes. Ce sont les grands lieux du rite où l'on espère le pardon. Applique-toi, mon frère, à y prier.

En quittant le sanctuaire de Dieu et son asile, tu perdrais la bénédiction de ces lieux.

07 · Aux deux angles de la Kaʿba

L'Envoyé a dit : « Le meilleur des lieux, le plus pur, le plus saint et le plus proche de Dieu, se trouve entre l'angle [de la Pierre noire] et la Station. »

L'Envoyé a dit : « Entre l'angle yéménite et celui de la Pierre noire se trouve l'un des jardins du paradis. »

Il dit : « Nul ne prie à l'angle de la Pierre noire sans être exaucé. Il en va de même à l'angle yéménite. »

Sache, mon frère, que nul n'en sort sans le regretter. L'Envoyé a dit : « Demeurer à La Mecque est un bonheur. La quitter est un malheur. »

Demeure donc à ta place. Garde-toi de l'inquiétude et de la lassitude, qui sont l'œuvre du diable. Ne pars pas. Si tu y gagnais licitement la valeur de deux petites pièces de cuivre, cela vaudrait mieux que de gagner ailleurs deux mille dirhams.

L'Envoyé dit : « Celui qui meurt en grand ou en petit pèlerinage n'aura pas à comparaître ni à rendre de comptes. On lui dira : Entre au paradis en paix, avec ceux qui sont en sécurité. »

L'Envoyé dit : « À qui jeûne le mois de ramadan à La Mecque, Dieu inscrit cent mille mois passés ailleurs. Une prière dans la Mosquée sacrée vaut cent mille

prières, et un million si elle est faite en communauté. À qui est malade un seul jour à La Mecque, Dieu interdit au Feu de toucher son corps et sa chair. »

Il dit : « À qui est malade un jour à La Mecque, Dieu inscrit, parmi les bonnes actions qu'il accomplissait ailleurs, soixante années d'adoration. À qui endure un moment de la chaleur du jour à La Mecque, Dieu épargne une distance de cinq cents années de marche jusqu'au Feu et le rapproche de deux cents années de marche du paradis. La Mecque et Médine chassent leurs impuretés comme le soufflet élimine les scories du fer. La Mecque a été fondée sur les épreuves et les degrés [de mérite]. Je serai pour celui qui endure sa dureté un intercesseur ou un témoin au jour de la Résurrection. Quiconque meurt à La Mecque ou à Médine, Dieu le ressuscitera à l'abri de son châtiment. Il n'aura ni compte à rendre ni peur ni tourment. Il entrera au paradis en paix et je serai son intercesseur au jour de la Résurrection. »

08 · Zamzam et la prière à la Station

Les habitants de La Mecque sont les gens de Dieu et les voisins de sa Maison. Aucune autre ville sur terre ne possède la boisson des justes et le lieu de prière des élus.

On demanda à Ibn ʿAbbās, que Dieu les agrée tous deux : « Où est le lieu de prière des élus ? — Sous la gouttière. — Quelle est la boisson des justes ? — L'eau de Zamzam. »

La meilleure vallée sur terre est celle d'Abraham, sur lui la paix, et le meilleur puits est celui de Zamzam.

Il n'est aucune autre ville où le seul contact d'un objet délivre un homme de ses péchés comme au jour où sa mère l'a enfanté. Car celui qui touche la Pierre noire en sort aussi exempt de péchés qu'au jour de sa naissance.

Il n'est aucune autre ville sur terre où se trouve un lieu où il a été ordonné de prier. Il n'est aucune autre ville sur terre où l'on prie à l'endroit où Dieu l'a expressément commandé à son prophète. Il a dit : « Prenez la station d'Abraham comme lieu de prière. »

Celui qui prie derrière la Station se trouve en sécurité. L'Envoyé dit : « Celui qui prie deux unités derrière la Station obtient le pardon de ses péchés passés et à venir. Celui qui prie deux unités sous la gouttière sort de ses péchés comme au jour de sa naissance. Celui qui prie deux unités autour de la Kaʿba sort de ses péchés comme au jour de sa naissance. »

Le lieu préféré de Dieu s'étend entre la Station et le Multazam. Regarder la Kaʿba est un acte d'adoration et une sauvegarde contre l'hypocrisie.

La Mecque est le seul endroit sur terre où se pratiquent les tours de la Maison, le grand et le petit pèlerinage. Regarder dans le puits de Zamzam est un acte d'adoration. Celui qui tourne autour de la Maison est pareil à celui qui tourne autour du Trône du Miséricordieux. La Pierre noire est la main de Dieu sur sa terre. Par elle, il serre la main de ceux de ses serviteurs qu'il veut. Au jour de la Résurrection, la Pierre noire et la Station viendront, chacune aussi grande que le mont Abū Qubays. Elles auront des yeux, des langues et des lèvres et témoigneront de la fidélité de quiconque sera venu les trouver.

On rapporte du Prophète : « Les plus honorés des anges auprès de Dieu sont ceux qui tournent autour de sa Maison. À celui qui pose un regard sur la Maison, Dieu pardonne toutes les fautes, fussent-elles aussi nombreuses que l'écume de la mer. »

L'Envoyé dit : « Dieu possède une tablette de rubis rouge sur laquelle il porte chaque jour trois cent soixante regards. Cent quatre-vingts regards sont de miséricorde et cent quatre-vingts de châtiment. Les premiers à recevoir son regard de miséricorde sont les habitants de son sanctuaire. À celui qu'il voit debout en prière il accorde le pardon. Il pardonne à celui qu'il voit faire les tours, et il pardonne à celui qu'il voit assis face à la direction de prière. Les anges disent, alors qu'il en sait davantage : "Seigneur, il ne reste que ceux qui dorment." Il dit : "Ceux qui dorment autour de ma Maison, joignez-les aux autres." »

09 · Faire les tours à pied

L'Envoyé dit : « Pour celui qui fait sept tours autour de la Maison, Dieu élève son rang de soixante-dix mille degrés à chaque pas, lui donne soixante-dix mille

bonnes actions et lui accorde d'intercéder soixante-dix mille fois pour les musulmans de sa famille qu'il choisira. S'il le souhaite, sa récompense lui sera accordée dès ce monde, et s'il le souhaite, elle lui sera réservée pour la vie dernière. »

L'Envoyé dit : « À qui accomplit sept tours de la Maison de Dieu un jour d'été de grande chaleur, tête découverte, touchant la Pierre à chaque tour sans faire de mal à personne, et parlant peu sauf pour se rappeler Dieu, seront comptées, pour chaque pied levé ou posé, soixante-dix mille bonnes actions. Soixante-dix mille mauvaises actions lui seront effacées et il sera élevé de soixante-dix mille degrés. »

Le mérite de celui qui va en pèlerinage à pied, comparé à celui qui y va sur une monture, est celui de la pleine lune comparée aux autres astres.

Il dit : « Si les anges serraient la main à quelqu'un, ils la serreraient à celui qui part combattre sur le chemin de Dieu, à celui qui agit avec bonté envers ses parents et à celui qui fait le tour de la Maison de Dieu. »

Il dit : « La Kaʿba est entourée de soixante-dix mille anges qui demandent pardon pour celui qui en fait le tour et prient pour lui. »

Il dit : « Celui qui fait les tours marche dans la miséricorde de Dieu. Dieu manifeste devant les anges sa fierté de ceux qui tournent autour de la Maison. »

Il dit : « Multipliez les tours avant que quelque chose ne vous en empêche. C'est comme si je voyais déjà un homme d'Abyssinie, dégarni, les articulations déviées, le front large et les pieds tournés l'un vers l'autre. Assis sur elle, il la démolit pierre par pierre. »

Il dit : « Ceux qui font le grand ou le petit pèlerinage sont la délégation de Dieu. S'ils sollicitent de lui quelque chose, il la leur donne. S'ils l'invoquent, il les exauce. S'ils dépensent, il leur rend, pour chaque dirham, sept cent mille dirhams — selon une autre version, un million et sept cent mille dirhams. Par celui qui tient ma vie en sa main, nul ne lance l'acclamation rituelle et nul ne proclame la grandeur de Dieu sans que tout ce qui est, jusqu'à l'extrémité de la terre, ne reprenne sa louange et sa proclamation. » [Un homme demanda] : « Envoyé de Dieu, la multiplication va-t-elle jusque-là ? — Par celui qui tient ma vie en sa main, pour leur dépense, Dieu leur rendra les sept cent mille en ce monde avant

qu'ils le quittent. Le million, lui, leur est réservé pour la vie dernière. Par celui qui tient ma vie en sa main, un seul dirham pèse plus lourd que votre montagne que voici. » Et il désigna Abū Qubays.

10 · Le pèlerinage et l'allégeance

Il dit : « Que celui qui peut mourir dans l'un des deux sanctuaires y meure. Je serai le premier à intercéder pour lui. Au jour de la Résurrection, il sera à l'abri du châtiment de Dieu, sans compte à rendre ni châtiment. »

Il dit : « Un petit pèlerinage expie ce qui le sépare du petit pèlerinage suivant. Quant au grand pèlerinage accompli dans la droiture, sa seule récompense est le paradis. » L'Envoyé dit aussi : « Un petit pèlerinage en ramadan équivaut à un grand pèlerinage », et, dans une autre version, « avec moi ».

L'Envoyé dit : « Quiconque fait le pèlerinage sans avoir de rapports sexuels ni commettre de désobéissance sort de ses péchés comme au jour où sa mère l'a enfanté. »

Si un homme prescrit par testament de faire un pèlerinage pour lui, trois pèlerinages sont inscrits : un pour celui qui l'a consigné, un pour celui qui a fait le legs et un pour celui qui s'est mis en état de consécration à sa place. À qui accomplit le pèlerinage pour ses parents on inscrit deux pèlerinages, un pour lui et un pour ses parents. Si quelqu'un accomplit le pèlerinage pour un défunt qui n'avait rien prescrit, un pèlerinage est inscrit au premier et soixante-dix pour celui au nom duquel il l'a fait.

Au soir de ʿArafa, Dieu descend au ciel le plus proche et regarde ses serviteurs. Il montre sa fierté devant les anges : « Mes anges, ne voyez-vous pas que mes serviteurs sont venus de tous les défilés lointains, les cheveux en désordre et couverts de poussière, espérant ma miséricorde ? Je vous prends à témoin, mes anges, que je fais don de ceux qui ont mal agi à ceux qui ont bien agi, que j'accepte leur intercession les uns pour les autres et que je pardonne à tous. Reprenez votre route, mes serviteurs, tous vos péchés passés vous sont pardonnés, grands et petits, anciens et récents. »

Un pèlerinage accepté vaut mieux que le monde et ce qu'il contient. Quant à celui dont le pèlerinage n'est pas accepté, il est dit qu'il sort de ses péchés. Celui de qui Dieu l'accepte a remporté un immense succès.

On rapporte du Prophète ces paroles : « Celui qui me rend visite après ma mort, c'est comme s'il m'avait rendu visite de mon vivant. Celui qui n'a pas vécu de mon temps et ne m'a pas prêté allégeance, puis qui vient à Médine après ma mort, me salue et me rend visite auprès de ma tombe, celui-là m'a prêté allégeance. Celui qui vient à l'angle de la Pierre noire et l'embrasse, c'est comme s'il avait prêté allégeance à Dieu et à son Envoyé. »

Il dit : « Cet angle est la main droite de Dieu sur la terre. Il y serre la main de ses serviteurs comme l'un de vous serre celle de son frère. Celui qui n'a pu prêter allégeance à l'Envoyé et touche la Pierre a prêté allégeance à Dieu et à son Envoyé. »

11 · La dernière recommandation

Il dit : « Il ne reste rien du paradis, sinon cette Pierre noire. Sans les impuretés et les souillures des polythéistes qui l'ont touchée, nul être atteint d'une infirmité ne la toucherait en quête de guérison sans guérir. »

Celui qui meurt dans le sanctuaire, c'est comme s'il mourait au quatrième ciel. Celui qui meurt à Jérusalem, c'est comme s'il mourait au ciel le plus proche. À qui va à pied en pèlerinage à la Maison de Dieu, Dieu inscrit à chaque pied levé et posé soixante-dix mille bonnes actions de la valeur de celles du sanctuaire.

Ibn ʿAbbās, que Dieu les agrée tous deux, dit : « Une bonne action du sanctuaire vaut cent mille bonnes actions. »

Il dit : « Pour chaque pas que fait son chameau, le pèlerin qui voyage sur une monture obtient une bonne action de la valeur de celles du sanctuaire. » On demanda : « Envoyé de Dieu, que valent les bonnes actions du sanctuaire ? — Chacune vaut cent mille bonnes actions. »

On rapporte du Prophète ces paroles : « Dieu rassemblera du cimetière de La Mecque soixante-dix mille martyrs. Ils entreront au paradis sans rendre compte.

Leurs visages seront pareils à la lune en sa plénitude. Chacun intercédera pour soixante-dix mille hommes. » On demanda : « Qui sont-ils, Envoyé de Dieu ? — Les étrangers. »

Celui qui meurt dans le sanctuaire de Dieu ou dans celui de son Envoyé, ou qui meurt entre La Mecque et Médine en faisant le grand ou le petit pèlerinage, Dieu le ressuscitera au jour de la Résurrection parmi ceux qui sont en sûreté. Et boire à satiété de l'eau de Zamzam délivre de l'hypocrisie.

Celui qui accomplit deux unités de prière dans le Ḥijr du côté de l'angle syrien, c'est comme s'il avait veillé en prière soixante-dix mille nuits. Cela vaut l'adoration de chaque croyant et de chaque croyante, c'est comme s'il avait fait quarante pèlerinages dans la droiture, tous acceptés. Celui qui accomplit quatre unités en face de la porte de la Kaʿba, c'est comme s'il avait adoré Dieu de l'adoration de toutes ses créatures multipliée maintes fois. Au jour de la Résurrection, Dieu le mettra à l'abri de l'effroi suprême et ordonnera à Gabriel, à Michel et à tous les anges, sur eux la paix, de demander pardon pour lui jusqu'au jour de la Résurrection.

Mon frère, saisis tout ce bien et prends garde qu'il ne t'échappe. Que soient sur toi la paix, la miséricorde de Dieu et ses bénédictions.

12 · Colophon du manuscrit de base

La lettre est achevée, grâce à Dieu et à son heureux secours. Elle fut terminée dans la nuit du lundi 19 shawwāl de l'année mille cinquante-quatre. Louange à Dieu seul, et que Dieu bénisse celui après lequel il n'est point de prophète.

TROISIÈME PARTIE

Subtilités de traduction

وجوه المعنى

01 · Les deux chaînes de transmission

قراءة عليه

Lecture faite devant la personne autorisée à transmettre.

ثَغْر

Ville frontière, ici Āmid, aujourd'hui Diyarbakır.

Texte arabe · Traduction

02 · Mon frère, pourquoi partir ?

الحَرَم

Sanctuaire dont le territoire bénéficie d'une protection rituelle.

جوار

Voisinage, ici le fait d'habiter près de la Maison.

Texte arabe · Traduction

03 · La Maison dans le Coran

مقام إبراهيم

La Station d'Abraham, près de la Kaʿba.

عُمْرة

Petit pèlerinage.

شعائر

Signes ou actes institués en rites.

Texte arabe · Traduction

04 · Une vallée sans culture

قِبْلَة

Direction vers laquelle se tourne celui qui prie.

سِقَايَة

Service qui permet aux pèlerins de se désaltérer.

Texte arabe · Traduction

05 · La ville des anges et des prophètes

الحَزْوَرَة

Lieu de La Mecque où cette tradition situe l'adieu du Prophète.

المِيزَاب

Gouttière du toit de la Kaʿba.

الحِجْر

Enclos semi-circulaire voisin de la Kaʿba.

Texte arabe · Traduction

06 · Les prières et les portes du paradis

المُلْتَزَم

Partie du mur de la Kaʿba entre sa porte et la Pierre noire.

جَمْع

Autre nom de Muzdalifa, étape du pèlerinage.

Texte arabe · Traduction

07 · Aux deux angles de la Kaʿba

الرُّكْن

Angle du bâtiment, désigné ici par son orientation ou par la Pierre noire.

فَلْس

Petite monnaie de cuivre.

Texte arabe · Traduction

08 · Zamzam et la prière à la Station

الأَبْرَار

Les justes, les gens de bien.

طَوَاف

Tours rituels accomplis autour de la Kaʿba.

Texte arabe · Traduction

09 · Faire les tours à pied

استلم الحجر

Toucher rituellement la Pierre noire.

أُسْبُوع

Série de sept, ici les sept tours.

Texte arabe · Traduction

10 · Le pèlerinage et l’allégeance

بَيْعَة

Geste ou engagement d’allégeance.

مَبْرُور

Pèlerinage accompli dans la droiture et agréé.

Texte arabe · Traduction

11 · La dernière recommandation

الغُرَبَاء

Les étrangers, ceux qui viennent de loin.

التَّضَلُّع

Boire à satiété, littéralement jusqu'à se remplir les flancs.

Texte arabe · Traduction

12 · Colophon du manuscrit de base

تَمَّت الرِّسَالَة

« La lettre est achevée », formule de clôture.

Texte arabe · Traduction

APPAREIL DOCUMENTAIRE

Notice et sources

Al-Ḥasan al-Baṣrī a vécu de 21 à 110 H (642–728). L'attribution de la lettre est ancienne. Au IXe siècle, le Mecquois al-Fākihī en transcrit une version dans ses Aḫbār Makka, nº 1545, par une chaîne qui comporte un intermédiaire anonyme. Le nom du destinataire diffère selon les témoins. La recension traduite hésite entre ʿAbd al-Raḥīm et ʿAbd al-Raḥmān ibn Anas al-Ramādī. Les promesses chiffrées et les paroles prêtées au Prophète sont rendues comme les affirmations de la lettre.

Pour son édition de 1980, al-ʿĀnī a pris comme base le nº 3609 de la bibliothèque Rażā de Rāmpūr (Inde), colophon du 19 shawwāl 1054 H (1644). Il a comparé le nº 1983 du Musée irakien, à Bagdad, et le nº 188 ج de la bibliothèque municipale d'Alexandrie, du XIIe siècle de l'Hégire. L'édition, p. 9, distingue ces trois témoins. Les formules de bénédiction récurrentes sont parfois sous-entendues en français.

La copie en couleurs du Caire est conservée à al-Azhar, sans cote communiquée par la notice. La lettre y commence à la vue 3, directement par les passages coraniques, et se termine sur la page de droite de la vue 8. Le poème de gauche est suivi d'une date de 1276 H (1859–1860). D'autres œuvres suivent dans ce recueil de 20 vues. Ce témoin présente une forme plus courte. La photographie illustre la lettre, tandis que le texte de lecture suit la recension plus développée publiée.

Le texte électronique a été comparé au scan de l'édition. Des passages omis dans la saisie ont été rétablis aux pages 21, 25, 29, 31 et 35, entre autres la mention de Jamʿ et le petit pèlerinage en ramadan. Le calcul parfois déconcertant des mérites, ainsi que l'application à La Mecque de toutes les citations, suivent la formulation de la source.

Sources textuelles

Le Caire, al-Azhar · lettre et vue du cahier, avec notice

Al-Azhar · manuscrit en couleur, lettre aux vues 3 à 8

Édition de Sāmī Makkī al-ʿĀnī · Koweït, 1400 H / 1980 · p. 9 et 11–40

Al-Fākihī, Aḫbār Makka · autre transmission, nº 1545

Riyad, Université du roi Saoud · autre manuscrit de la lettre

OpenITI · texte de départ collationné sur l'édition

Provenance des images

I. M. d'Ohsson, Tableau général de l'Empire othoman, planche XLV.

Le Caire, al-Azhar, copie de 1276 H, vue 3.

Retour au premier passage